



كتب كرييس دوويل في صحيفة ذي غارديان البريطانية متسائلاً: "بما أننا رأينا نظام الرئيس السوري بشار الأسد يقتل أكثر من 1400 سوري، ويلقي القبض على الآلاف، ويستخدم المروحيات والدبابات ضد أبناء شعبه، وهناك تقارير عن تعذيب وقتل الأطفال، أضحك الكثير يتساءلون: لماذا كانت تلك الظروف سبباً كافياً للتدخل في ليبيا وليس كافية في سوريا؟"

يقول دوويل: "إن الغرب لا يعرف ماذا يفعل، ولا كيف يتدخل، ولا مع من يتصل؛ وفوق كل ذلك لم يدعه أحد بعد للتدخل". هناك مثل سوري يقول: "زوان البلد - نبات لعلف الحيوانات - ولا حنطة الجلب"، بعبارة أخرى: قد يفضل السوريون نار النظام على طوق نجا يقدمه الغريب.

ورغم الفظائع التي ترتكب بشكل يومي، فلا توجد حتى الآن مؤشرات على تقبل فكرة الاستعانة بالأجنبى. السوريون يدركون جيداً ما يمكن أن يعنيه أو يجلبه التدخل الأجنبى، ففتررة الاستعمار الفرنسي التي شهدت انسلاخ لبنان عن سوريا والإسكندرية إلى تركيا، وتأسيس مناطق فيها شبه حكم ذاتى للعلويين والدروز، ما زالت راسخة في ذاكرتهم. من جهة أخرى؛ لا يبدو السوريون متحمسين لعمليات حلف الناتو ونتائجها في ليبيا، وهناك عامل حاسم آخر هو رضاهم بشكل عام عن سياسة نظامهم الخارجية، ولكنهم يستنكرون سياساته الداخلية.

وينقل دوويل عن الناشط السوري والسيجىن السياسي السابق لؤى حسين قوله: " علينا أن نفرق بين التدخل الأجنبى والضغط الأجنبى. نحن نعارض التدخل الأجنبى، ولكننا نرحب بالضغط الأجنبى القائم على أساس دعم حقوق الإنسان وليس دعم جبهة معينة ضد أخرى، حسب ما تمليه مصلحة الأجنبية".

كما يلفت دوويل النظر إلى عامل مهم آخر يمنع أي تدخل خارجي في الشأن السوري، حيث يقول: "إن مسؤولاً بريطانيا رفيع المستوى أكد له عدم وجود خيارات في سوريا؛ لأن الصين وروسيا والبرازيل وآخرين يعارضون بشدة أي إجراء ولا حتى عقوبات أممية محدودة".

ويعلق دوويل على ذلك بالقول: "إن تجربة العقوبات لم تكن مثمرة، والعراق خير دليل، حيث ضربت العقوبات الناس أكثر

من النظام"، ويستذكر مقوله وزير الدفاع الأميركي السابق دونالد رمسفيلد: "يمكنا الربح في العراق". وهو خطأ سوف يدفع ثمنه أسلافه في البتاغون لسنوات طويلة.

الجيش السوري يعتمد على آلية عسكرية سوفياتية تنتهي لأجيال مضت، لذلك لا يمكن أن يكون قوة عسكرية يحسب لها حساب إذا ما تقرر تدخل أجنبى، ومع وجود خليط مذهبى وقومى ومحيط متزعزع أمنياً، فأغلب الظن أن أي تدخل عسكري أجنبى سوف ينتج عنه انفراط عقد سوريا كما حدث في العراق.

الجاراة تركيا ليست في وضع مقبول تماماً من النظام السوري، وتركيا لها تاريخ مع سوريا والمنطقة، فما إن علّق رئيس الوزراء التركي على أفعال النظام السوري بأنها "غير إنسانية" حتى نعته أعوان النظام بأنه "عثماني" في إشارة إلى حكم العثمانيين الأتراك لسوريا والمنطقة.

ويعتقد دوويل أن هناك عاماً مهماً من الكثير من السوريين من النزول إلى الشارع إلى حد الآن، وهو غياب البديل عن نظام بشار الأسد. وكما حدث في العراق، فالسوريون يخافون من أن يؤدي التدخل الأجنبي إلى جلب أناس إلى الحكم لا يتمتعون بمصداقية على الأرض.

السوريون لا يحبون النسخة السورية لأحمد الجلبي، والمتمثلة بفريد قادرى، الذي لا يخفى دعمه لإسرائيل. المجموعة المنظمة الوحيدة هي الإخوان المسلمين، وهم في الغالب خارج سوريا. أما أجنحة المعارضة المولودة من رحم النظام والمتمثلة برفع الأسد وعبد الحليم خدام نائب الرئيس السابق فكلاهما مكروه.

دوويل توقع أن يسوء الوضع أكثر في سوريا في المرحلة المقبلة، وأورد تهديد قريب الأسد السieur الصيّت رامي مخلوف في مقال له في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية، والذي حذر فيه من أن لا استقرار في إسرائيل إذا ذهب استقرار سوريا. ويطرق دوويل إلى بعد الفلسطيني، ويقول: "إن اللاجئين الفلسطينيين في سوريا لا يشعرون بالارتياح؛ لأنهم وجدوا أنفسهم في خضم المشهد السوري المتأزم".

ويختتم مقاله بتوجيهه عبارات لوم شديدة إلى الغرب، وتحميله مسؤولية انحسار نفوذه وتأثيره في المنطقة، "لكن الغرب يجب ألا يلوم إلا نفسه. إنها سياساته المتناقضة والمترقبة وفشلها في التصرف بشكل قانوني وأخلاقي على مدى عقود - وأفضل مثال على ذلك العراق وفلسطين - هي التي أدت إلى انعدام الثقة بداعفه وأدت إلى المتأهّلات التي يواجهها اليوم في العالم العربي".

المصادر: